أكاديمية دراسات اللاجئين - لندن

دبلوم دراسات اللاجئين

2011 -2012

اللاجئون الفلسطينيون في سوريا

والثورة السورية

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات دبلوم دراسات اللاجئين

إعداد: بلال عبد الحفيظ سلايمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وبعد ,,

يدخل اللاجئون الفلسطينيون عامهم الخامس والستين بعيداً في مخيمات اللجوء وتجمعات الشتات, لكن مأساوية قصتهم لم تتوقف على النكبة التي تلتها النكسة , بل لاحقتهم النكبات إلى ميادين شتاتهم فكان ما وقع في الأردن ثم حرب المخيمات وما نالهم من نار الحرب الطائفية والاجتياح الإسرائيلي في لبنان , ليأتي الاحتلال الأمريكي للعراق ليلجأوا إلى المخيمات الصحراوية على الحدود ومنها إلى أطراف الدنيا في الهند والبرازيل وغيرها , أما اللاجئين في سوريا فقد تمتعوا باستقرار نسبي ووضع أفضل من غيرهم إلى أن جاءت الأحداث الأخيرة لتساويهم مع بقية إخوانهم اللاجئين ... على أمل ألا نرى في سوريا نكبة المنكوبين .

يحاول البحث تقديم صورة عن وضع اللاجئين الفلسطينيين في سوريا وتأثرهم بالثورة السورية , من خلال عرض عام وموجز لتوزعهم الديموغرافي والجغرافي ووضعهم القانوني في سوريا , مع التطرق لما يمثل اللاجئين من هيئات ومؤسسات وفصائل عمل وطني , وذلك لفهم آلية التفاعل ومستويات التأثر بالمجتمع السوري عموماً وبالثورة السورية .كما أن البحث يستعرض المواقف المتبادلة بين كل من طرفي الثورة السورية من جهة وبين اللاجئين وما يمثلهم من جهة أخرى, ويعمل على استشراف المآلات التي قد يؤول إليها وضع اللاجئين في سوريا .

ولا بد من الإشارة هنا إلى الصعوبات في إنجاز هذا البحث لكون الموضوع جديد بدايةً و لم يكتب فيه سابقاً وأحداثه ما زالت تتفاعل , دون وجود نهاية قريبة للوضع في سوريا . كما أن الإحصائيات المتعلقة بالجانب الفلسطيني في الثورة السورية تكاد تكون معدومة خاصة الموثقة منها . وهنا لا بد من الإشارة إلى ضرورة أن تقوم المؤسسات والمراكز الفلسطينية بمتابعة وضع اللاجئين الفلسطينيين في سوريا , وتوثيق أوضاعهم مما يشكل ليس كتابةً للتاريخ فحسب , بل حمايةً حاليةً لهم .

الفهرس

الفصل الأول : اللاجئون الفلسطينيون في سوريا .

المبحث الأول : وجود اللاجئين في سوريا عددهم وأماكن انتشارهم .....(4)

المبحث الثاني : فئات اللاجئين الفلسطينيين و وضعهم القانوني والاقتصادي.....(7)

المبحث الثالث : الهيئات والمؤسسات المعبرة عن اللاجئين .....(10)

الفصل الثاني : التفاعل المتبادل بين الثورة و اللاجئين الفلسطينيين .

المبحث الأول : موقف الفصائل و الهيئات الفلسطينية من الثورة السورية .....(16)

المبحث الثاني : موقف طرفي الصراع من اللاجئين الفلسطينيين .....(23)

المبحث الثالث : التفاعل الشعبي.....(25)

خـــــــاتمة

المراجع

الفصل الأول

اللاجئون الفلسطينيون في سوريـــــــا

المبحث الأول : العدد والتوزع الجغرافي .

تعتبر سوريا الدولة الثانية بين الدول العربية من حيث عدد اللاجئين الفلسطينيين المتواجدين على أراضيها , حيث بلغ عددهم عام 2011 ما يقارب 510 ألف لاجئ مُسَجل في وكالة الأونروا [1] , لكن هذا العدد لا يشمل كل اللاجئين فهناك فئات غير مسجلة لدى الوكالة سيتم توضيحها في المبحث القادم . ووفق الأستاذ طارق حمود المدير العام لتجمع العودة الفلسطيني – واجب فإن العدد الحقيقي للاجئين الفلسطينيين في سوريا وفق تقديرات مؤسسات المجتمع المدني والعاملين في لجان العودة يصل إلى 600 ألف لاجئ من مختلف الفئات , وهذا الاحصاء أقرب إلى الدقة إذا لاحظنا أن احصاء الأونروا يذكر فقط اللاجئين المسجلين لديها ويستثنى الفئات غير المسجلة . وإذا اعتمدنا العدد 600 ألف لاجئ فلسطيني كونه الأقرب إلى الدقة فإن اللاجئين يمثلون 2.8% من مجموع سكان سورية [2] .

وصل الغالبية العظمى من هؤلاء اللاجئين وصل إلى سوريا إثر قيام العصابات الصهيونية بارتكاب المجازر و تهجير الفلسطينيين من أرضهم عام 1948 فيما اصطلح على تسميته بالنكبة , حيث هجّر إلى سوريا حوالي 85 ألف فلسطيني ما يشكل 10% من مجموع اللاجئين عام 1948, واستمرت عمليات ترحيل محدودة للاجئين الفلسطينيين إلى سوريا حتى نهاية النصف الأول من الخمسينيات نتيجة الاحتكاكات المستجدة على الحدود واستمراراً للسياسة الصهيونية في تهجير الفلسطينيين [3] . كما شهدت السنوات التالية عمليات لجوء جديدة إلى سوريا سواء من فلسطين أو من دول عربية أخرى نتيجة ظروف سياسية واقتصادية كما حصل في أعوام 56- 67-70-1971 وكذلك عام 2006 حيث قدم اللاجئون الفلسطينيون من العراق.

ويوضح الجدول التالي أماكن انتشار اللاجئين الفلسطينيين على امتداد الخارطة السورية , وقد اعتمدنا على الرقم 600 ألف لاجئ كونه الأقرب للدقة أما نسب التوزع على المحافظات فقد اعتمدنا على ما أوردته دراسة السكان المقيمون غير السوريين وخصائصهم [4].

ومن خلال مقارنة العدد الذي تقدره هيئات المجتمع المدني (الذي يشمل كل الفئات) مع نسب الدراسة لتوزع السكان (التي تحصي اللاجئين دون النظر إلى فئاتهم) سوف نحصل على الأعداد الأقرب للدقة لعدد اللاجئين في كل محافظة, كون إحصاءات كل من الأونروا أو مؤسسة اللاجئين تستثني اللاجئين غير المسجلين لديهما .

المحـــــــــــــافظة	عـــــدد اللاجئين	النسبة المئوية %
دمشق	255600	42.6
ريف دمشق	223800	37.3
حلب	37800	6.3
درعـــــــــــــا	33000	5.5
حمص	24000	4
اللاذقية	12000	2
حماه	10200	1.7
القنيطرة	1200	0.2
ادلب	600	0.1
طرطوس	600	0.1
الحسكة	600	0.1
الرقة	600	0.1
دير الزور *	/	/
السويداء	/	/

(* بالتأكيد يتواجد عدد من الفلسطينيين في كل من دير الزور والسويداء لكن نسبتهم لا تكاد تذكر)

يتضح من الجدول أن الكتلة الأكبر من اللاجئين تتركز في العاصمة دمشق و المناطق المحيطة أو ما يعرف باسم ريف دمشق حسب الترتيب الإداري للحكومة السورية . حيث يقيم ما يقارب 479400 لاجئ أي ما نسبته80% من مجموع اللاجئين . في ما ينتشر بقية اللاجئين على امتداد الخارطة السورية من درعا على الحدود الأردنية إلى حلب على الحدود التركية , مع أعداد قليلة في المنطقة الشرقية التي تتسم بكثافة سكانية قليلة .

يتركز اللاجئون الفلسطينيون في سوريا في 13 مخيم و 14 تجمع. (حيث يكون المخيم واقعاً تحت ولاية الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب بالكامل من شؤون إدارية وأحوال مدنية, بينما يتبع التجمع لبلدية سورية في شؤونه الإدارية) بحسب الاونروا فإن المخيمات الموجودة تنقسم إلى قسمين قسم معترف بها 10 مخيمات وقسم غير معترف بها 3 مخيمات , علماً أنه لا يوجد فرق بين المخيمات المعترف فيها وغير المعترف فيها في كيفية تعاطي الدولة السورية أو الأونروا معها , باستثناء عدم مسؤولية الأونروا عن جمع النفايات الصلبة من المخيمات غير المعترف بها .

مخيمات دمشق وريفها (اليرموك غير معترف به من قبل الأونروا ويشهد التجمع الأكبر للاجئين فيه أكثر من 144 ألف لاجئ , سبينة , الست زينب , خان الشيح , خان دنون , جرمانا).

مخيمي حلب (النيرب , عين التل أو حندرات غير معترف فيه)

مخيم العائدين في حمص

مخيم العائدين بدرعا ومخيم درعا الطوارئ (القديم والجديد) , علماً أنها متلاصقين .

مخيم العائدين في اللاذقية (مخيم الرمل) / غير معترف فيه .

مخيم العائدين في حماه .

أما بالنسبة للتجمعات فكما المخيمات تتركز في دمشق وريفها (الحسينية , الرمدان , دمر , دوما , جوبر , برزة والقابون , ركن الدين , جديدة عرطوز ودروشا , حوش بلاس/المزة , الحجر الأسود).

تجمعات درعا (المزيريب , جلين , المعلقة) , وكذلك تجمع طريق الشام في حمص .

هذا الانتشار الجغرافي جعل اللاجئين الفلسطينيين يتأثرون بالأحداث التي تحصل في أي منطقة من سوريا . وترك أثره على اللاجئين الفلسطينيين خاصة الأجيال الجديدة منهم , فمع وجود الانتماء العام للكل الفلسطيني اللاجئ و الاستشعار بالمصير المشترك , إلا أن هذا لم يمنع من وجود شعور بالانتماء للمنطقة ويتفاوت هذا الانتماء من منطقة لأخرى حيث يبدو جليا أكثر من غيره عند اللاجئين الذين يعيشون خارج المخيمات والتجمعات حيث يضعف تأثير العمل الفصائلي و الوطني . ومع مرور الزمن و نتيجة العلاقات التي تتنوع بين عائلية نتيجة التصاهر أو علاقات العمل

والدراسة جعلت بعض اللاجئين يشعرون بالانتماء للمصير السوري بقدر انتمائهم للمصير الفلسطيني , وهذا ما أثر على مدى تفاعل اللاجئين مع القضايا السورية .

المبحث الثاني : فئات اللاجئين الفلسطينيين و وضعهم القانوني والاقتصادي.

كان توافد اللاجئين الفلسطينيين على سوريا على مراحل متعددة , تبعاً للتطورات المأساوية التي شهدتها القضية الفلسطينية والتي كانت قضية اللاجئين أهم شواهدها . ويمكن تقسيمها إلى خمس محطات رئيسة للجوء . فقد قام الاحتلال الصهيوني بطرد الفلسطينيين إثر النكبة عام 1948 وفي عام 1956 مع الاعتداء على أكراد البقارة والغنامة وبعد حرب حزيران 1967 , في ما كانت الخلافات الأردنية الفلسطينية السبب في موجة جديدة من اللاجئين عامي 1970-1971 لتختتم موجات اللاجئين في عام 2006 مع اللاجئين الفلسطينيين القادمين من العراق إثر الاحتلال الأمريكي .

وأدت هذه المحطات الخمسة من اللجوء إلى وجود خمس فئات رئيسة من اللاجئين الفلسطينيين في سوريا يختلفون في وضعهم القانوني وفي التشريعات التي تنظم شؤونهم , لكنهم مشتركون في مصير اللجوء.

1. لاجئو عام 1948 : وهم القادمون إثر حدوث النكبة ويشكلون الفئة العظمى من اللاجئين الفلسطينيين في سوريا , وهذه الفئة تخضع للقانون 260 لعام 1956 الذي يعطي أبناء هذه الفئة حقوق متساوية مع المواطن السوري في كل من العمل والدراسة وغيرها , عدا حقي الترشح والانتخاب . ويحصلون على وثائق سفر سورية (وتجدر الإشارة إلى أن حامل وثيقة السفر السورية ليس بحاجة إلى تأشيرة دخول عند العودة إلى سوريا على عكس الوثيقة المصرية مثلاً) كما يحصلون على وثائق إقامة دائمة في سوريا دون إسقاط جنسيتهم الفلسطينية . و يلزم أبناء هذه الفئة بالخدمة العسكرية في جيش التحرير الفلسطيني , وهي الفئة الوحيدة التي يلزم أبنائها بتأدية الخدمة العسكرية. ومنحت الحقوق التي يتمتع بها أبناء هذه الفئة الفرصة لهم لتحسين وضعهم .

2. لاجئو عام 1956 : لجئ أبناء هذه الفئة إلى سوريا إثر قيام الاحتلال الصهيوني بالاعتداء على أكراد البقارة والغنامة وتهجيرهم , وتم تسجيلهم في قيود كل من الأونروا ومؤسسة اللاجئين . وهم يتمتعون كما الفئة الأولى بحقوق التعليم و الصحة , لكن حق العمل مقيد لديهم فهم لا يستطيعون ممارسة العمل إلا بصيغة التعاقد المؤقت .

3. لاجئو عام 1967 : وهم اللاجئون إثر هزيمة حزيران 1967 وقد أطلق عليهم تسمية النازحين لتمييزهم عن الفئة الأولى (في مقاربة لمصطلحي النكبة والنكسة) , إلا أن هذه التسمية خاطئة من وجهة النظر القانونية فكل من أخرج من دياره بالقوة يعتبر لاجئاً . وهذه الفئة بعض أبنائها استطاع التسجيل في مؤسسة اللاجئين و بالتالي يعتبر من الفئة الثانية , أما من لم يستطع التسجيل فبقي يعامل بحسب الوثيقة التي يحملها . معاملة الأجنبي إذا كان حاملاً للوثيقة المصرية وعليه تجديدها سنوياً , والعربي المقيم إذا كان من حاملي الجواز الأردني . ولا يخدم أبناء هذه الفئة في الجيش , ويتمتعون بالخدمات حسب فئاتهم . وعموماً فإن خدمة التعليم و الصحة في القطاعات الحكومية تكون متوفرة غالباً لكل المقيمين في سوريا .

4. لاجئو 1970-1971 : جاء أبناء هذه الفئة من الأردن عقب الأحداث الدامية التي حصلت بين فصائل منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية , ولا يحمل الكبار منهم سوا جوازات سفر أردنية منتهية الصلاحية , أما حال الأجيال الشابة فهو أسوء فهم لا يملكون أي وثيقة تثبت هويتهم سوا وثيقة الولادة أو إخراج قيد من مكتب منظمة التحرير (الذي تحول مؤخراً إلى سفارة) في دمشق . وبعضهم يحمل وثائق سفر مصرية . ونتيجة لعدم إمتلاكهم وثائق هوية فإنهم يعانون في دخول سوق العمل وحتى في الدراسة (وإن كانت الحكومة السورية تغض الطرف عنهم) ولا يستطيعون السفر . ويصعب إعطاء إحصاء دقيق بأعدادهم كونهم غير مسجلين تحت أي فئة ويقدرون بعشرات الآلاف . وجرى في عام 2011 محاولة من قبل فصائل فلسطينية لإحصاء أبناء هذه الفئة بغية إيجاد حل لهم لكن انطلاق الثورة السورية أخر هذا الملف على جدول أعمال الحكومة السورية[5] .

5. لاجئو 2006 : لجئ أبناء هذه الشريحة إلى سوريا إثر الغزو الأمريكي للعراق بعد أن كان الاحتلال الصهيوني طرد أجدادهم من فلسطين . يخضعون لسلطة المفوضية العليا لشؤون اللاجئين كون الأونروا لم يكن له سلطة على اللاجئين الفلسطينيين في العراق , وبناءً على ذلك فهم يعيشون في سوريا بصورة مؤقتة بانتظار ترحيلهم إلى دول أخرى بحسب برنامج مفوضية اللاجئين . كان قسم منهم يعيش في مخيم التنف على الشريط الحدودي السوري العراقي , وقد فكك هذا المخيم بعد أن رحل أغلب أبناؤه , كما يعيش قسم منهم في مخيم الهول التابع للمفوضية في محافظة الحسكة السورية , وقسم منهم في مخيم اليرموك, تقوم الأونروا بتقديم بعض الخدمات لهم , ويعتبر وضعهم الأصعب من النواحي القانونية والمعيشية ويقدرون بـــ 5-6 آلاف .

ومن خلال نظرة سريعة على واقع فئات اللاجئين يتضح أن الوضع الأفضل هو للفئة الأولى (لاجئي 48) وهي الفئة الأعظم وتشكل حوالي 80% من تعداد اللاجئين . كما يستطيع جميع أبناء اللاجئين بالخدمات الصحية و التعليمية من قبل الحكومة السورية , لكن حقوق العمل غير موجود للفئتين الأخيرتين .

وبشكل عام يعد وضع اللاجئين في سوريا جيد نسبيا مقارنة بمناطق اللجوء الأخرى , وقد أعطت التشريعات التي صدرت منذ 1949 اللاجئين حقوقهم ضمن أطر قانونية . وقد ساعدت حالة الاستقرار النسبي اللاجئين على تحسين أوضاعهم , خاصة مع تمتعهم بحقوق العمل والدراسة كما يتمتع بها المواطن السوري , وتكفي الإشارة هنا إلى أن في جامعة دمشق لوحدها 125 أستاذ جامعي يحمل درجة البروفيسور يشكلون 10% من الهيئة التدريسية [6] علماً أن اللاجئين الفلسطينيين لا يمثلون سوا 2.8 % من مجموع السكان كما أشرنا سابقاً .

وقد توجت هذه القرارات بالقانون رقم 260 الصادر بتاريخ 1956/7/10 و الذي أكد على احتفاظ اللاجئين الفلسطينيين بجنسيتهم الأصلية مع إعطاءهم ذات الحقوق التي يتمتع بها المواطن السوري من حيث التوظيف والعمل والتعليم والتجارة والعمل والخدمة العسكرية , ويعتبر هذا القانون هو الناظم لوضع الشريحة الأكبر من اللاجئين الفلسطينيين حتى الوقت الحاضر . وقد صدر هذا القانون في عهد الرئيس السوري الراحل شكري القوتلي وبإجماع البرلمان السوري آنذاك .

الوضع الاقتصادي للاجئين الفلسطينيين في سوريا :

يتفاوت الوضع الاقتصادي للاجئين الفلسطينيين بين فئة وأخرى وبين تجمع وآخر, حيث يعتبر الوضع الاقتصادي للاجئين اللذين يعيشون خارج المخيمات أفضل من وضع سكان المخيمات بشكلٍ عام . فيما يمكن تقسيم الوضع الاقتصادي للمخيمات إلى أربعة أقسام :

1. مستوى مرتفع نسبياً يمثله سكان مخيم اليرموك , الذي تجاوز مرحلة المخيم إلى مرحلة أكثر تمدناً وأكثر اندماجاً مع المدينة بشرياً واقتصادياً , بعد أن أصبح يمثل الضاحية الجنوبية للعاصمة السورية .
2. مستوى متوسط في مخيمات حمص واللاذقية .مستوى متوسط نسبياً في خان دنون , السيدة زينب , النيرب, حماه .
3. مستوى منخفض في خان الشيح , جرمانا , السبينة ,حندرات , درعا. [7]

وفي سنة 2010 قارب معدل البطالة بين اللاجئين الفلسطينيين في سوريا 17 % في حين كان معدل البطالة في سوريا عموماً حسب المكتب المركزي للإحصاء 8.4 % [8], فيما بلغت نسبة العاملين الفلسطينيين بقطاع الخدمات (الذي شهد نمواً في السنوات الأخيرة في سوريا نتيجة التحولات الاقتصادية) 31% , ومن المعلوم أن قطاع الخدمات هو أسرع القطاع تأثراً بالتغيرات مما يجعل العاملين فيه أول المتأثرين بأية اضطرابات , وجاء في المرتبة الثانية قطاع الصناعة حيث يعمل فيه 29.5% من اللاجئين وقطاع التجارة 7.9 % , فيما لا يتعدى نسبة العاملين بقطاع الزراعة 2% [9].

المبحث الثالث : الهيئات والمؤسسات المعبرة عن اللاجئين .

تَنَظّم شؤون اللاجئين الفلسطينيين في سوريا من خلال هيئتين رئيستين , الأولى تمثل الدولة المضيفة أي الحكومة السورية و تمثلها الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب وهي جهة إدارية تنظيمية بالدرجة الأولى . و الثانية تمثل الإرادة الدولية أو الأمم المتحدة ويمثلها وكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) وهي جهة إغاثية بالدرجة الأولى .

مع تواجد لبعض المؤسسات التمثيلية الأخرى التي هي تعتبر مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية كاتحاد الطلبة الفلسطينيين و اتحاد العمال و نقابات المهندسين والأطباء والمعلمين و غيرها (لن يتطرق البحث لذكر الهلال الأحمر الفلسطيني رغم الخدمات الطبية التي يقدمها للاجئين لأن مدار بحثنا هو الجانب التمثيلي) .

الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب :

التأسيس و الأهداف : تم تأسيس الهيئة بتاريخ 1949/1/25 تحت اسم المؤسسة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب , وقد تم تعديل هذا الاسم فيما بعد بتاريخ 1974/2/15 وفق مرسوم تشريعي لتصبح الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب . غاية الهيئة كما توضحه على موقعها الإلكتروني هي تنظيم شؤون اللاجئين الفلسطينيين العرب ومعونتهم وتأمين مختلف حاجاتهم , وإيجاد الأعمال المناسبة لهم و اقتراح التدابير لتقرير أوضاعهم في الحاضر والمستقبل [10]. وللهيئة دور هام في الجانب الإداري و التنظيمي و الأرشيفي للاجئين لكن دوره الإغاثي والتعليمي ضعيف .

الموارد : جميع الاعتمادات و الموارد المخصصة لغايات الهيئة هي من موازنة الدولة (وهو الجانب الأهم الذي تعتمد عليه الهيئة في القيام بالواجبات الملقاة على عاتقها) . علماً أن المادة الأولى من قرار تأسيس الهيئة عام 1949 نص على أنها شخصية اعتبارية ذات استقلال مالي . وكانت تعتمد في البداية على ريع طابع فلسطين و الهبات و التبرعات , إلا أن قرار جمهوري في عام 1960 خصص للهيئة موازنة سنوية من موازنة الجمهورية العربية السورية , و إن كانت هذه الموازنة ليست كبيرة خاصة في البدايات إلا أنها بالتأكيد أفقدت الهيئة صفة الاستقلال المالي . و إن كانت الهيئة لا تزال تؤكد عبر موقعها الإلكتروني أنها هيئة عامة ذات طابع إداري مستقلة مالياً و إدارياً [11] .

إدارة الهيئة : يتولى إدارة الهيئة مدير عام يتم اختياره بالتعيين من قبل رئيس مجلس الوزراء , وترتبط الهيئة بوزير الشؤون الاجتماعية والعمل وهو المرجع المسئول عن أدارة الهيئة بصورة مباشرة وهو الآمر بالصرف. وبالتالي يبدو واضحاً أن الهيئة تخضع لسياسة الحكومة السورية ليس من خلال التحكم بموازنتها فحسب التي تقتطع من موازنة الدولة , بل أيضاً من خلال الإشراف المباشر لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل , أي أن الهيئة تعمل على تنفيذ السياسة الحكومية .

وللهيئة عدة مديريات ودوائر : مديرية الأحوال الشخصية والإحصاء – مديرية الشؤون الإدارية – مديرية الشؤون العامة – مديرية الشؤون القانونية – مديرية الشؤون المعلوماتية –مديرية الشؤون المالية –مديرية الشؤون الاجتماعية –دائرة السكن – المكتب الهندسي – دوائر الهيئة في المحافظات . بالإضافة إلى ثلاث معاهد تعليمية .

يوجد للهيئة دوائر فرعية في المحافظات : دمشق (مكاتب مخيمات جرمانا , خان الشيح , السبينة , الرمدان , السيدة زينب) – اليرموك (يعتبر اليرموك دائرة مستقلة عن دمشق نظراً لتعداد اللاجئين الكبير فيه) – القنيطرة (مكتب فيق) – درعا (مكتب مخيم درعا , مكتب جلين) – حمص – حماه- اللاذقية – حلب (مكتب النيرب , مكتب حندرات). تشكل الدوائر الفرعية في المخيمات الواجهة الحكومية , وتعتبر مرجع للفلسطينيين في الأحوال المدنية و شؤون السكن . كما تقوم بالإشراف على المخيمات و متابعة النشاطات التي تقام فيها بالتنسيق مع الهيئات الحكومية الأخرى .

وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)

تم تأسيس الوكالة بعد القرار رقم 302 الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1949/12/8 , ونص القرار على أن الأونروا تقدم المساعدة الإنسانية للاجئين الفلسطينيين إلى حين التوصل لحل عادل لقضيتهم , وباشرت

الوكالة عملها بتاريخ 1950/5/1 . توفر الأونروا في ميادين عملها الجانب الإغاثي للاجئين وتعنى بجوانب الصحة و التعليم و الخدمات الاجتماعية. لا تلعب الأونروا في ميادين عملها أي دور سياسي بل تقتصر على الجانب الإغاثي ولا تأخذ على عاتقها حماية اللاجئين ضمن نطاق عملها بل أقصى ما يمكن أن تفعله هو رفع التقارير للأمم المتحدة و الطلب من الدول المضيفة توفير الحماية للاجئين .

تقدم الأونروا خدماتها في سوريا لأكثر من 510 ألف لاجئ فلسطيني مسجل لديها , حيث تدير ما مجموعه 118 مدرسة كلها يعمل بنظام الفترتين بالإضافة إلى مركز للتدريب المهني و التقني , وتوفر الأونروا خدمات الرعاية الصحية من خلال 23 مركز للرعاية الصحية الأولية, كما تشرف على 5 مراكز للتأهيل المجتمعي , و5 مراكز للبرامج النسائية , تنتشر هذه المدارس والمراكز في المخيمات و التجمعات الفلسطينية وذلك وفق إحصائية لعام 2010 [12].

الفصائل والقوى الفلسطينية :

لم يكد اللاجئون الفلسطينيون يستقرون في المخيمات حتى بدأ يتضح لهم ضرورة الاعتماد على أنفسهم لاسترجاع حقوقهم السليبة فبدأت تتشكل رؤى العمل الوطني الفلسطيني لتصبح في مرحلة لاحقة مع نهاية الخمسينات وبداية الستينات من القرن الماضي مجموعات منظمة صغيرة اتخذت من العمل المسلح وسيلة لاسترجاع فلسطين [13] , وقد شكلت التجمعات الفلسطينية الحاضنة والخزان البشري لكافة القوى الفلسطينية . وخاصة مخيم اليرموك في دمشق كونه يضم نسبة كبيرة من اللاجئين الفلسطينيين .

هذا التوجه للعمل الوطني الفلسطيني لم يمنع عدد من اللاجئين من المشاركة مع الأحزاب والقوى السورية كحزب البعث العربي الاشتراكي والحزب القومي الاجتماعي السوري وحتى القوى الإسلامية ممثلة بالإخوان المسلمين . وقد شكل بعض هؤلاء فيما بعد نواة للجناح الفلسطيني لهذه القوى كما حصل مع منظمة الصاعقة .

في الوقت الذي وصل فيه حزب البعث الاشتراكي للحكم في سوريا إثر حركة 8آذار 1963 كانت القوى الفلسطينية قد بدأت تتبلور وفق تشكيلات واتجاهات أكثر وضوحاً . وعلى الرغم من كون كل من النظام الجديد في سوريا و الفصائل الفلسطينية المختلفة يشتركان بهدف تحرير فلسطين وفق إعلان الطرفين , إلا أن العلاقة بينهما لم تتسم بالودية غالباً . ومن ملامح هذا التوتر اعتقال مؤسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأحد رموز حركة القوميين العرب جورج حبش لمدة عام تقريباً عام 1968 في دمشق قبل أن يتم تهريبه من السجن . كما أن العلاقة

بين منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة بشخص رئيسها الراحل ياسر عرفات والنظام السوري غالباً ما كانت متوترة , ويرجع الكثير من المحللين السبب في ذلك إلا النزاع على تمثيل القضية الفلسطينية . وقد انعكس هذا الأمر على وضع حركة التحرير الوطني الفلسطيني – فتح في سوريا , وأخذت العلاقة مراحل من المد والجزر . وفي السنوات الأخيرة وإن لم يكن للحركة مكاتب رسمية في المخيمات الفلسطينية إلا أنها تمتعت بتواجد تنظيمي . كما أن بعض أبناء الحركة من سوريا شاركوا في المؤتمر الحركي العام السادس الذي عقد في مدينة بيت لحم . وهنا تجدر الإشارة إلا أن السلطات السورية لم تمنع أي فصيل فلسطيني من التواجد في سوريا سوا جبهة التحرير الفلسطينية – جناح العراق , نظراً للخلاف بين البعثين العراقي والسوري[14] .

إثر تبني المؤتمر القومي التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي والمنعقد في دمشق في أيلول 1966 لحرب التحرير الشعبية في مواجهة الكيان الصهيوني تم العمل على تأسيس " منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية " والتي عرفت باسم " قوات الصاعقة " لتشكل الجسم الفلسطيني لحزب البعث . استمدت الصاعقة زخماً كبيراً بحكم علاقتها مع سوريا. ولعبت دوراً كبيراً على الصعيدين العسكري والسياسي خصوصاً في المرحلتين الأردنية واللبنانية من نهوض حركة المقاومة الفلسطينية[15]. على الرغم من أن منظمة الصاعقة ليس لها وجود يذكر في الداخل الفلسطيني وبين كل من لاجئي لبنان و الأردن إلا أن علاقتها وارتباطها بالنظام السوري قد منحها دور و مجال للتأثير في الساحة الفلسطينية في سوريا يفوق بكثير حجمها الطبيعي . ويكفي الإشارة هنا إلا أن النقابات والاتحادات الفلسطينية في سوريا مسيطرة عليها من قبل تنظيم الصاعقة وغالباً ما تتمتع برئاسة هذه المنظمات ضمن نظام المحاصصة (الكوتا) التي تفرضه السلطات السورية . ورغم العلاقة التي تعتبر متينة بين حركة حماس و النظام السوري في الفترة الأخيرة إلا إن النظام السوري بقي يعطي الأفضلية لتنظيم الصاعقة في النقابات و الاتحادات وهذا يترك تساؤلاً عن مدى ثقة النظام السوري بحركة حماس حتى قبل الثورة .

بعد خسارة الساحة اللبنانية وقبلها الساحة الأردنية من قبل القوى الفلسطينية , أصبحت الفصائل الفلسطينية أكثر خضوعاً لحالة الاستقطاب الإقليمي والدولي فكان أن اتجه أبو عمار للقاهرة بعد خروجه من طرابلس ليشكل تحولاً في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية وينعكس هذا التحول على خارطة القوى و الفصائل . فقد وجدت مجموعة من القوى والفصائل الفلسطينية من النظام السوري مظلة لها كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة و حركة فتح –لانتفاضة المنشقة عن ياسر عرفات و عدة فصائل أخرى , فيما أصبح يعرف لاحقاً وخصوصاً بعد دخول

منظمة التحرير إلى غزة ورام الله عبر أوسلو بفصائل دمشق . وتمتعت بعض هذه الفصائل وخاصة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة بعلاقة جيدة مع الحكومة السورية وخاصة أجهزتها الأمنية .

بعد طرد الأردن لقيادات حركة المقاومة الإسلامية – حماس وإغلاق مكاتبها عام 1999 لم تجد الحركة سوا سوريا مستقراً لها, رغم الخلفية الإخوانية لحركة حماس وحساسية النظام السوري لهذا التنظيم خاصة بعد أحداث الثمانينات (ما زال القانون رقم 49 لعام 1980 ساري المفعول والذي يحكم بالإعدام على كل منتسب لجماعة الإخوان المسلمين) إلا أن مصلحة الجانبين جعلتهم يتغاضيا ولو على مضض عن هذا الأمر . فكان أن بدأت الحركة تستقر في دمشق وبدأت تنشط في أوساط اللاجئين , وأخذ وضع الحركة يتعزز في دمشق ومع أجهزة الدولة تدريجياً خصوصاً بعد فوز الحركة في الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام 2006 .إلا أن تواجد الحركة في سوريا لم يصل إلى مرحلة التنظيم بل اقتصر على بناء العلاقات وتأطير الأنصار في أطر عامة وتنفيذية دون بنية تنظيمية, مع ثقل واضح لتواجد مكتبها السياسي.

أما عن حجم هذه الفصائل وتأثيرها في الشارع الفلسطيني فلا يكاد يختلف عما هو عليه الحال في الداخل الفلسطيني بتواجد واضح لحركة حماس وحركة فتح , مع تواجد متفاوت وضعيف في بعض المناطق للفصائل الأخرى كالجهاد الإسلامي والجبهتين الشعبية والديمقراطية وبقية الفصائل . وإن كان لتنظيم الصاعقة حضور قوي في الأطر والاتحادات نتيجة دعم النظام السوري إلا أن تأثيره في الشارع ضعيف يعكس حجمه الطبيعي .

بعد هذا العرض السريع والمكثف لعلاقة الفصائل الفلسطينية بالنظام السوري يمكن القول إن العلاقة سادها التوتر في كثير من المراحل خاصة في منتصف الثمانينات , لكن هذا التوتر لم يكن له أثر واضح على عموم اللاجئين فبقي اللاجئون متمتعين بحقوقهم في الدراسة و الصحة والعمل . كما أن الفصائل الفلسطينية (حركة المقاومة الإسلامية حماس , حركة الجهاد الإسلامي , حركة التحرير الوطني الفلسطيني – فتح , الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين , الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة , الجبهة الديمقراطية , حركة فتح الانتفاضة , منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية – قوات الصاعقة , الحزب الشيوعي الفلسطيني , جبهة النضال الشعبي الفلسطيني , حزب الشعب الفلسطيني , جبهة التحرير الفلسطيني) بقيت متواجدة في دمشق منذ بداية العمل الوطني الفلسطيني المنظم بداية الستينات (باستثناء حركتي حماس والجهاد المتواجدتين مع نهاية التسعينات) وحتى اندلاع الثورة السورية مع تمتع فصائل المقاومة وعلى رأسها حركتي حماس والجهاد بثقل أكثر من غيرها في الفترة الأخيرة خاصة مع تواجد القيادات السياسية

والمكتب السياسي لكلا الحركتين في العاصمة السورية دمشق . وخاصة بعد أن شهدت السنوات الأخيرة صعود لما عرف بمحور المقاومة بعد انتصار حزب الله في تموز 2006 وانتصار حماس في حرب غزة كانون الأول-الثاني 2008-2009 الذي ضم كل من إيران وسوريا وحزب الله في لبنان وحماس وبدرجة أقل الجهاد الإسلامي في فلسطين .

الاتحادات و النقابات الفلسطينية :

لا بد من الإشارة بداية إلى أن اللاجئين الفلسطينيين في سوريا يحق لهم التسجيل في النقابات السورية من أطباء وصيادلة ومهندسين وغيرها , وهذا بالطبع أثر سلباً على النقابات الفلسطينية. كما أن سوء علاقات النظام السوري بمنظمة التحرير ترك أثراً سلبياً على النقابات , حيث لم تعد تتبع للنقابات الفلسطينية المركزية . وسيطر عليها نظام المحاصصة (الكوتا) مع ضمان المناصب الفاعلة لتنظيم الصاعقة القريب من النظام , مما جعل بنية هذه النقابات تصاب بالتكلس فضلاً عن انضمام اللاجئين السوريين للنقابات السورية , وهذا جعل النقابات و الاتحادات الفلسطينية في سوريا غير ذات فاعلية على الأرض .

وقد جرت في السنوات الأخيرة محاولات تفعيل هذه الأطر خاصة مع دخول حركة حماس على ميدان العمل الوطني في الساحة السورية , إلا أن هذه المحاولات لم تكلل بالنجاح .

الفصل الثـــــــــــــاني

التفـــــاعل المتبادل بين الثورة واللاجئين الفلسطينيين

المبحث الأول : موقف الفصائل و الهيئات الفلسطينية من الثورة السورية .

الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب :

كما أشرنا في الفصل السابق فإن الهيئة لا تخضع لسيطرة الدولة و أجهزتها فحسب , بل هي تمثل أداة من الأدوات الحكومية وتخضع لرئاسة مجلس الوزراء عن طريق وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل . وبالتالي فإن مواقفها لا تخرج عن سياق الموقف الرسمي للنظام السوري , وتعبر الهيئة من خلال بياناتها أو عبر موقعها الإلكتروني عن هذا الموقف , وقد أصدرت الهيئة بياناً على سبيل المثال في 25آذار/مارس 2012 جاء فيه " باسم جميع العاملين في الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب ومعاهدها نندد ونستنكر بشدة هذه الجرائم الإرهابية المارقة ونجدد العهد أن نبقى الجند الأوفياء لسورية العروبة والمقاومة بقيادة قائد مسيرة حزبنا وشعبنا السيد الرئيس الدكتور بشار الأسد مقدمين أرواحنا ودماءنا فداءً لسورية العظيمة التي ستسقط الحرب الكونية التي تشن ضدها وكما كانت على مر التاريخ وستبقى رايات العروبة والشرف والمقاومة مرفوعة في سمائها. " على حد قول البيان [16] .

ونظراً للآلية التي يتم فيها اختيار مدير الهيئة و الإشراف المباشر من قبل الحكومة السورية عليها فلا يمكن اعتبارها تعبر عن نبض الشارع الفلسطيني, بل هي تمثل الموقف الحكومي شأنها شأن كافة المؤسسات الحكومية الأخرى, إلا أنها مختصة بمتابعة الشأن الفلسطيني .

الاونروا :

قبل بداية الثورة في سوريا كانت الأونرواتصف الوضع في سوريا بالبيئة السياسية المستقرة [17] . نظراً لحالة الاستقرار السياسي النسبي في سوريا . إلا أن اندلاع الأحداث وبشكل متسارع قد ألقى بظلاله على نشاط الأونروا وقدرتها على التواصل مع كافة مكاتبها الفرعية في المحافظات .

فقد تأثرت الخدمات التي تقدمها الوكالة في بعض المناطق خاصة التي تعتبر ساخنة نتيجة صعوبة الوصول إلى هذه المناطق في ظل العمليات العسكرية , وكانت بوادر هذا التأثر صعوبة الوصول إلى مخيم درعا بعد بدء الحكومة

السورية عملية ضد المدينة , فقد قامت الأونروا بتعليق خدماتها للاجئين الفلسطينيين في درعا وما حولها بتاريخ 9أيار / مايو 2011 , وقد أصدرت المنظمة بياناً بهذا الشأن [18] .

لا تتدخل الاونروا عادةً في الشؤون السياسية للدول التي تعمل ضمن نطاقها , وتكتفي بمناشدة الأطراف الهدوء ورفع تقارير عن الأوضاع للأمم المتحدة . ومن هذا البيان الصادر عن الأونروا حول الأوضاع في سوريا بتاريخ 9حزيران 2011 وفيه أن المفوض العام للأونروا " يشعر بالحزن العميق جراء الخسائر في الأرواح والإصابات التي تعرض لها اللاجئون الفلسطينيون في سورية خلال الأحداث التي جرت مؤخرا ..... فإنها (الأونروا) تناشد وبشدة كافة الأطراف على التحلي بالهدوء وضبط النفس.الاونروا تدعو كافة المعنيين الحفاظ على قدسية الحياة البشرية وعلى النحو المطلوب بموجب القانون الدولي، ولحماية سلامة وكرامة الجميع ولضمان أن يتم تجنب خسارة المزيد من الأرواح . " [19] .

كما أن الناطق الرسمي باسم الأونروا "كويس غانيس" أصدر تصريحاً بتاريخ 14آب 2011 عبر فيه عن قلق الوكالة البالغ من التقارير التي تفيد " بوقوع إطلاق نار كثيف من قبل السلطات الأمنية السورية داخل مخيم للاجئين الفلسطينيين في ضاحية الرمال (كما جاء في البيان والصحيح أن اسمها الرمل) و المناطق المحيطة في اللاذقية ". كما أدان التصريح استخدام القوة ضد المدنيين و دعا السلطات السورية لممارسة أقصى درجات ضبط النفس , وطالب بإتاحة المجال للعاملين الإنسانيين بالوصول بشكل سريع وميسر وذلك ليتمكنوا من تقديم العون للمصابين والجرحى . وإضافة لذلك " فإننا نطالب بمنح الأونروا حرية وصول ميسرة وذلك لكي تتمكن الوكالة من استئناف خدماتها بالكامل في المخيم الذي تضرر بشكل بالغ جراء الاضطرابات " حسب نص البيان [20] . ويذكر أن الأونروا قامت بتوزيع معونات مالية عاجلة للعائلات الفلسطينية في مخيم الرمل بعد أن عاودت نشاطها إثر دخول الجيش السوري لمنطقة الرمل الجنوبي التي يقع المخيم ضمنها .

و كما يبدو فإن تفاعل الأونروا مع الأحداث كان ضمن نطاق رسالتها العامة في إغاثة اللاجئين فهي تندد بالاعتداء عليهم , وفي ذات الوقت كانت تطالب بالسماح لها بمزاولة عملها بحرية دون معوقات , و لم تتحدث عن الأزمة السورية إلا من ضمن هذا السياق .

وعلى الرغم من أن الأونروا لا تملك القوة على الأرض لحماية اللاجئين , لكن بالقوة الناعمة التي تتمتع بها كونها منظمة دولية تتبع الأمم المتحدة تشكل غطاء للفلسطينيين خاصة ممن يقطنون بالمخيمات . لذلك يمكن اعتبار المخيمات الفلسطينية مناطق آمنة أكثر من غيرها , وهذا ما جعل العائلات السورية في المناطق التي حصلت فيها عمليات عسكرية تلجأ إلى المخيمات , وقد حصل هذا في كل من حمص وحماه ودرعا واللاذقية بشكل واضح .

الفصائل والقوى الفلسطينية :

شكلت الثورات العربية مفاجأة للمراقبين والقوى السياسية منذ فجر شراراتها محمد البوعزيزي في تونس , لكن شرارة الحرية أخذت تنتشر كالنار في هشيم البلدان العربية المتعطشة للتغيير . وقد كانت الثورة الأولى أي الثورة التونسية مفاجأة وأسرع من أن تقف الفصائل الفلسطينية لتتخذ موقفاً منها , كما أن ضعف تأثير تونس في الملف الفلسطيني قد يكون سبباً في ذلك . أما في حال الثورة المصرية فإن الأمر يختلف مع دولة لها ثقلها في الملف الفلسطيني خاصة أنها تلعب أكثر من دور في أكثر من ملف فلسطيني كملف المصالحة و تبادل الأسرى, حتى أن النظام السابق لم يلعب دور الوسيط والعراب في القضية الفلسطينية فحسب , بل كان في بعض الأحيان طرفاً فيها كما هو الحال بتحكمه بمعبر رفح بوابة غزة للعالم , ولا يخفى التقارب السياسي في وجهات النظر وتبني خيار التسوية كخيار وحيد بين كل من السلطة الفلسطينية في رام الله ممثلة بمنظمة التحرير وحركة فتح . وعلى الرغم من هذا فإن الفصائل الفلسطينية آثرت الصمت خلال الثورة المصرية فلم تتخذ موقفاً إزائها حتى حركة حماس التي عانت أكثر من غيرها من الفصائل من النظام المصري السابق حرصت على عدم خروج مظاهر مؤيدة للثورة المصرية في غزة . ولعل هذا الموقف الحيادي من الفصائل اتخذ خوفاً من الدخول في تهورات سياسية خاصة في حال عدم نجاح الثورة, ومصحوباً بظلٍ ثقيل لتبعات التهور السياسي في الموقف الذي اتخذته قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في الحرب العراقية الكويتية .

لكن الحالة السورية تحمل فروقاً عن الثورتين المصرية و التونسية و حتى الليبية واليمنية بالنسبة لتقييم الموقف الذي اتخذته أو يجب أن تتخذه الفصائل الفلسطينية إزاء الثورة , وهذه الفروق أو العوامل يجب أن تراعى بغض النظر عن الموقف أو نتيجة التقييم سلباً أم إيجاباً :

أولاً : تعتبر سوريا دولة هامة في الصراع العربي الصهيوني كونها من دول الطوق ولديها جزء محتل من أرضها (الجولان) , كما أنها تشكل حلقة الوصل الرئيسة في ما يسمى محور المقاومة . والنظام السوري هو آخر القلاع التي ما زالت ترفع شعارات القومية العربية والمقاومة .

ثانياً : تتواجد في العاصمة السورية دمشق القيادة السياسية لحركتي حماس و الجهاد بخلاف القاهرة مثلاً التي و إن كانت حليفة للسلطة الفلسطينية في رام الله إلا أنها تمثل الحليف وليس الحاضنة للقيادة السياسية .

ثالثاً : قام النظام السوري بدعم حركات المقاومة بشكل كبير في حين أن تصريحات بعض قادة المعارضة السورية تتحدث عن عدم استمرار الدعم في حال تغيير النظام , كالتصريحات التي أدلى بها برهان غليون بتاريخ 2 كانون

الأول/ديسمبر 2011 لصحيفة (Wall Street Journal) وقال فيها (حماس لن تبقى المدعومة من النظام السوري – يقصد بعد التغيير –).

رابعاً : يعيش في سوريا قرابة 600 ألف فلسطيني لاجئ منتشرين في المحافظات السورية , وتصنيفهم ضمن أي طرف سوف يلقي بظلاله على وضعهم السياسي والمعيشي .

خامساً : طول فترة الثورة السورية مقارنة بالثورات الأخرى , فأثناء كتابة هذه الأوراق تدخل الثورة السورية شهرها السادس عشر . كما أن اقتناع النظام بصفرية الصراع مع المحتجين مما جعله يتبنى الحل العسكري خياراً وحيداً في التعامل معهم , جعل المساحة الرمادية للمواقف السياسية تتناهى إلى العدم .

هذه العوامل يجب أن تؤخذ بالحسبان عند تقييم الموقف الفلسطيني من الثورة السورية سواء بالسلب أم بالإيجاب .

كما أشرنا في الفصل السابق فإن الفصائل الفلسطينية كافة لها تواجد في سوريا ,مع تواجد لقيادات وأعضاء المكتب السياسي لحركة حماس وكذلك لحركة الجهاد الإسلامي . إلا أن حضور حماس في الشارع العربي عامةً والسوري خاصةً والثقة التي تتمتع بها في الشعب السوري مما جعلها قادرة على التأثير فيه , أعطى موقفها من الثورة السورية ثقلاً سياسياً واضحاً , وسنحاول في الأسطر التالية استعراض موقف حركة حماس بشكلٍ رئيس وتفاعل منظمة التحرير الفلسطينية مع الأحداث .

موقف حركة حماس : كان اندلاع الثورة السورية مربكاً للنظام السوري وبذات القدر لحركة المقاومة الإسلامية حماس من حيث أنها وجدت نفسها مضطرة مع الزمن لاتخاذ موقف من الثورة . كثيراً ما تؤكد حركة المقاومة الإسلامية (حماس) أنها لا تتدخل في الشأن الداخلي للدول العربية . وتعتبر هذه النقطة من أهم ثوابت سياستها الخارجية , وقد تطرق التصريح الصحفي الأول الذي أصدرته الحركة بتاريخ 2 نيسان/أبريل 2011 حيال ما يجري في سوريا إلى هذه النقطة . حيث جاء في التصريح أن الحركة تتابع بقلق و اهتمام ما يحصل في سوريا و تؤكد على ما يلي:

" أولاً : إن سوريا قيادة وشعباً وقفت مع مقاومة الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة , واحتضنت قوى المقاومة الفلسطينية , وخاصة حماس وساندتها في أحلك الظروف وأصعبها , وأخذت الرهانات والتحديات والمخاطر الكبيرة وصمدت أمام كل الضغوط من أجل التمسك بدعم نهج الممانعة و والمقاومة في المنطقة , وإسناد فلسطين وشعبها ومقاومته بشكل خاص , والوقوف في خندق الأمة ومصالحها .

ثانياً : إننا نعتبر ما يجري في الشأن الداخلي يخص الإخوة في سورية , إلا أننا في حركة حماس , وانطلاقاً من مبادئنا التي تحترم إرادة الشعوب العربية و الإسلامية وتطلعاتها , فإننا نأمل بتجاوز الظرف الراهن بما يحقق تطلعات وأماني الشعب السوري , وبما يحفظ استقرار سورية وتماسكها الداخلي ويعزز دورها في صف المواجهة والممانعة " [21] .

وقد بدا واضحاً من هذا البيان أن الحركة لن تقف في صف النظام السوري كما فعل حزب الله مثلاً , ولن تتبنى روايته , إلا أنها لن تتهور سياسياً وتخاطر بوضع اللاجئين وأبناء الحركة في سوريا بتأييدٍ للثورة لن يأتي بنفع يذكر .

وعلى الرغم من أن التصريح جاء متوازناً من حيث المحتوى وأكد على وقوف الحركة مع سوريا قيادةً وشعباً إلى أن التاريخ المبكر الذي صدر فيه هذا التصريح نسبياً بعد تقريباً أسبوعين من بدء الثورة يدفع للتساؤل إن كانت الحركة قد تعرضت لضغوط لإصدار هذا البيان ؟ . واللافت في هذا السياق أن المكتب الإعلامي للحركة أصدر في ذات اليوم تصريحاً صحفياً ينفي مهاجمة رئيس المكتب السياسي خالد مشعل للشيخ يوسف القرضاوي بعد أن قامت بعض المواقع الإلكترونية ومنها جريدة الوطن المقربة من النظام السوري بنشر هذا الخبر .

مع تطور الأحداث في سورية أخذت تقارير صحفية تتحدث عن رفض الحركة لإخراج مسيرات مؤيدة للنظام السوري في المخيمات الفلسطينية , كما أن مصادر في الحركة أكدت أنها لم توقع على تصريح صحفي بتاريخ 18آب / أغسطس 2011 صدر باسم تحالف القوى الفلسطينية في دمشق الذي يضم حماس , وكان التصريح قال أن الفصائل تنفي وتستنكر تصريحات قيادة الأونروا حول قصف مخيم اللاجئين في اللاذقية (مخيم الرمل) [22] , وكانت الأونروا أصدرت بيان تستنكر فيها إطلاق النار في المخيم ذكر سابقاً .

وفي 24 كانون الأول/ديسمبر2011 أصدر المكتب الإعلامي للحركة تصريحاً صحفياً آخر أدان فيه تفجيرات حصلت في دمشق , وفي نفس التصريح أكدت الحركة أنها ما زالت تبادر " بجهود كبيرة متواصلة من أجل المساعدة في خروج سورية العزيزة من هذه الأزمة الصَّعبة، من خلال حلٍّ سياسيٍّ يحقن الدَّم السوري، ويحقِّق للشَّعب السوري تطلّعاته في الإصلاح والديمقراطية " ودعا التصريح إلى "سرعة الخروج من هذه الأزمة بحل سياسي يحقن الدَّم السوري، وينقل سورية العزيزة إلى مرحلة جديدة تحقّق لشعبها العزيز ما يتطلَّع إليه من خيرٍ لسورية "[23] وقد بدى البيان أكثر قرباً لتطلعات الشارع السوري في دعوته للتغيير والانتقال إلى سورية جديدة .

وفي ذات الوقت كانت بعض التقارير الصحفية قد بدأت تتحدث عن قطع المساعدات التي كانت تقدمها الجمهورية الإسلامية في إيران للحكومة في غزة , في ما يبدو محاولة للضغط على حركة حماس لاتخاذ موقف داعم للنظام

السوري , وتقارير أخرى تتحدث عن مغادرة لبعض قيادات الحركة للعاصمة السورية دمشق و أن الحركة بدأت تخفض من وجودها بهدوء [24] , لكن الحركة كانت تؤكد أن هذه التنقلات هي طبيعية وبسبب ظروف العمل .

وقد غادر أعضاء المكتب السياسي العاصمة السورية دمشق بعد أن كانت سبقتهم عائلتهم بالتدريج , وذهب بعضهم إلى غزة كما هو الحال مع عماد العلمي في حين استقر الدكتور موسى أبو مرزوق في القاهرة , بينما ذهب كل من خالد مشعل ومحمد نصر إلى الدوحة . وكان إسماعيل هنية قد قال في تصريحات لقناة الرأي الكويتية بتاريخ 9 شباط / فبراير 2012 "الآن قيادة حماس تخرج نظراً للظروف الموجودة في سورية إلى مدد طويلة حتى تستطيع أن تتابع عملها وشؤون قضية فلسطين " وأضاف " لابد أن يكون هناك إنصاف حقيقي وجدّي ومسؤول لصوت الشعب السوري ولطموحه وآماله وتطلعاته، لأن من حقه أن يعيش كريماً عزيزاً في ظل الديمقراطية والإصلاح والتعددية السياسية وقانون الأحزاب ومجلس شعب منتخب، وهذا ما تستطيع حماس أن تقوله وهذا ما نصحت به "[25] .

ويعتبر خروج أعضاء المكتب السياسي لحركة حماس من العاصمة السورية تحول هام في علاقة حماس بالنظام السوري بل حتى سيؤثر على علاقتها بإيران , ويكون فاتحة لمرحلة جديدة في علاقات الحركة الخارجية وتموضعها ضمن محاور المنطقة خاصة مع التحولات التي تشهدها الدول العربية . ولقد رحبت المعارضة السورية بخروج حماس من سوريا وقال سمير نشار عضو المكتب التنفيذي للمجلس الوطني السوري في 28 شباط/فبراير 2012 أن حركة حماس اتخذت الموقف الصحيح حتى ولو جاء متأخراً على حد قوله . كما كشف أنه مع عدد من أعضاء المجلس الوطني التقوا رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في الدوحة وبالصدفة لوجودهم في الفندق نفسه". وأضاف "هو أبلغنا دعمه لمطالب الشعب السوري المحقة وللثورة في سوريا، لكننا لم نطلب منه أكثر من ذلك، كوننا نعلم تماما ظروف الحركة وخصوصياتها."[26] .فيما حاولت حركة حماس التقليل من شأن خروج قادتها في دمشق , في أكثر من تصريح كتصريح الدكتور محمود الزهار القيادي في الحركة تعليقاً على هذا الأمر حيث قال أن " خروج كوادر وقيادات حماس من دمشق كان قرارا فرديا وليس موقفا سياسيا " [27] . وقد كان جيفري فيلتمان مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأدنى قال في 2آذار / مارس 2012 أن خروج منظمة حماس من سوريا " عرى نظام (الرئيس السوري بشار) الأسد " [28] .

وكان لافتاً أيضاً تصريحات القيادي في الحركة ورئيس وزراء حكومة غزة إسماعيل هنية من على منبر جامع الأزهر في 24 شباط/فبراير 2012 والذي حيا فيها الشعب السوري البطل حيث قال هنية "أحيي شعب سوريا البطل الذي يسعى نحو الحرية والديمقراطية والإصلاح " [29] . كما شهد قطاع غزة عدة فعاليات تضامنية مع الشعب السوري

نظمها التجمع الفلسطيني لنصرة الشعب السوري ويذكر أن الناطق باسم التجمع هو حمزة ابن القيادي في حماس الشهيد إسماعيل أبو شنب الذي اغتاله الصهاينة .

ولا زالت تخرج بعض التصريحات من قيادات الحركة المختلفين عن ضرورة تلبية رغبة الشعوب و الاستماع لها , وعن حتمية التغيير , وتصاعد موقف الحركة مرهون بالتطورات على الأرض , وهو و إن كان يأخذ بالعوامل التي ذكرناها بداية لكنه بالإضافة لذلك محكوم بوجود المئات من ناشطي وأنصار الحركة من لاجئي سوريا . لكن المؤكد أن العلاقة بين حماس والنظام السوري لن تعود كما كانت بعد أن فقدت الثقة بينهما ولن يعود منبر دمشق متاحاً لقيادات حماس , هذا في حال بقي النظام السوري .

موقف منظمة التحرير : لم يصدر عن منظمة التحرير الفلسطينية بيان واضح من منظمة التحرير الفلسطينية , إلا أنها في سياقٍ متصل أدانت الأحداث التي حصلت في مخيم اليرموك بتاريخ 7حزيران/يونيو 2011 أو ما عرف بأحدث الخالصة حيث قالت اللجنة في بيان صحافي: إنها " ترفض بحزم أية مبررات أو ذرائع لهذا العمل الإجرامي الجبان الذي يخرج عن أبسط التقاليد الوطنية الفلسطينية والذي يرقي إلى مستوى الجريمة، جريمة القتل الجماعي دون تمييز، من قبل جماعات الجبهة الشعبية – القيادة العامة " [30]

وكان مجموعة من الشبان الفلسطينيين بعد تشيعهم لشهداء سقطوا أثناء التوجه إلى الجولان في ذكرى النكسة هاجموا مقر الجبهة الشعبية – القيادة العامة والمعروف باسم الخالصة وقاموا بإحراقه , وسقط عدة شهداء إثر الاشتباك بين الشبان الغاضبين وعناصر القيادة العامة . وكان المشيعين قد رددوا هتافات هاجموا فيها النظام السوري واعتبروا أن الخروج في يوم النكسة إلى الجولان أريد استغلاله من النظام , ولكون القيادة العامة تتمتع بعلاقات ممتازة مع النظام السوري وتبنت وجهة نظره من الأحداث فإن هذا دفع المشيعين للتعبير عن غضبهم بالهجوم على القيادة العامة . أما الجبهة من جهتها فقد حملت في بيان لها " أطرافاً عميلة للعدو الصهيوني في سلطة رام اللـــه المسؤولية عن أعمال التحريض والقتل والتخريب التي ارتكبتها المجموعات والأدوات العميلة التي هاجمت مؤسسة الخالصة "[31].

كما يذكر أنه في تلك الفترة راجت أقوال في الشارع الفلسطيني في سوريا تتحدث عن مشاركة عناصر من القيادة العامة بقمع المتظاهرين السوريين , وإن لم يتم التأكد من صحة هذه الأقوال إلا أن هذا يشير لما تمثله القيادة العامة في وعي اللاجئين الفلسطينيين في سوريا .

وبالعودة لموقف منظمة التحرير فإنها قد أدانت الهجوم الذي تعرض له مخيم الرمل للاجئين في اللاذقية في منتصف آب / أغسطس 2011 , فقد طالب زكريا الآغا رئيس دائرة شؤون اللاجئين في منظمة التحرير السلطات السورية بوقف القصف المدفعي وتحييد المخيمات واتخاذ كافة الإجراءات التي توفر الحماية للاجئين الفلسطينيين وتحول دون المساس بحياتهم [32] .

المبحث الثاني : موقف طرفي النزاع من اللاجئين الفلسطينيين .

شهدت العلاقة بين النظام السوري و الفلسطينيين ممثلين بمنظمة التحرير توترات في محطات مختلفة بدءاً من منتصف السبعينات من القرن الماضي عند دخول الجيش السوري إلى لبنان مروراً بتل الزعتر وحرب المخيمات , إلا أن هذه التوترات لم تنعكس على اللاجئين الفلسطينيين في سوريا , و لم تؤدي هذه التوترات إلى المس بالتشريعات القانونية التي أعطت للفلسطينيين حقوقهم . وبقي التوتر محصور خارج الحدود السورية في لبنان تحديداً أو ضمن المجال السياسي بين النظام السوري ومنظمة التحرير . إلا أن هذا لم يعني خلق حالة من عدم الارتياح على أقل تقدير اتجاه النظام السوري في الوعي الفلسطيني العام .

ومع هذا ظل النظام السوري الحالي يعتبر الداعم للحق الفلسطيني في المقاومة والعودة , خاصة أنه يرفع شعارات قومية ورافضة للتطبيع مع الكيان الصهيوني , كما أنه احتضن حركات المقاومة الفلسطينية كحماس والجهاد .

وساهمت القوانين السورية التي أعطت للاجئين حقوقهم بحالة من الاستقرار لدى اللاجئين , بل والرضا عند مقارنة وضعهم مع اللاجئين في لبنان مثلاً .

مع بداية تفجر الأوضاع سارعت الحكومة السورية وعلى لسان نائب رئيس الجمهورية بثينة شعبان باتهام عناصر خارجية بالوقوف وراء الفتنة ووجهت أصابع الاتهام للفلسطينيين بالتورط في أحداث وقعت في اللاذقية وقالت في تصريحات للصحفيين بتاريخ 26آذار /مارس أي بعد عشرة أيام فقط من بدء الثورة " أتى أشخاص البارحة من مخيم الرملة (تقصد مخيم الرمل للاجئين الفلسطينيين) إلى قلب اللاذقية وكسروا المحال التجارية وبدأوا بمشروع الفتنة " [33]

كما حاولت صحيفة الوطن السورية المقربة من النظام استغلال علاقة حماس بالنظام السوري في مهاجمة الدكتور يوسف القرضاوي [34] , وهذا ما نفته حماس في تصريح صحفي بتاريخ 2 نيسان/أبريل 2011 أشرنا إليه سابقاً.

أما بالنسبة لموقف المعارضة السورية , فعلى صعيد موقفها من اللاجئين الفلسطينيين قال برهان غليون رئيس المجلس الوطني المعارض في مقابلة مع صحيفة الشروق الجزائرية " الفلسطينيون ليسوا إخوانا وأشقاء بالنسبة للسوريين بل هم أكثر من ذلك، فهم جزء من أمن واستقلال سوريا "[35] .

وإن خرجت بعض التصريحات الشاذة ضد اللاجئين الفلسطينيين , لكنها لا يمكن أن تحمل على المعارضة السورية ككل خاصة في ظل ما تعانيه المعارضة السورية من تعدد المنابر التي تتحدث باسم الحراك الشعبي . مع تأخر هذه المنابر في التشكل أصلاً . علماً أن هذه المنابر و الهيئات التي تشكلت لازالت غير متجانسة في قراراها السياسي وتفتقد الرؤيا الواضحة وتشهد حالات من التجاذب بين أقطابها . وهذا ما يمكن ملاحظته من موقف المعارضة من حركة حماس على سبيل المثال . حيث يظهر التجاذب على أشده خاصة بارتباط حماس الفكري بفصيل من المعارضة السورية هو الإخوان المسلمين .

ففي مقابلة نشرت بتاريخ 2كانون الأول / ديسمبر 2011 مع " وول ستريت جرنال " قال برهان غليون رئيس المجلس الوطني المعارض رداً على سؤال إن كان الدعم لحماس سوف يتغير " حماس لن تبقى المدعومة من قبل النظام السوري , إن علاقتنا مع حماس ستكون من خلال منظمة التحرير الفلسطينية والمجتمع المدني الفلسطيني " [36] . وفي مقابلة أخرى مع صحيفة الشروق الجزائرية بتاريخ 26 شباط فبراير 2012 قال غليون حول موقف المجلس الوطني من حماس " فنحن ننظر للفلسطينيين كشعب واحد لا نتدخل للشؤون الداخلية الفلسطينية ولكن نشجع على وحدة الصف الفلسطيني بين حماس والمنظمة ولا نفرق بين حماس وبين منظمة التحرير "[37] . في ما بدا علي صدر الدين البيانوني في لقاء عقد في مركز العدالة الفلسطينية في مالمو بالسويد أكثر تفهماً لموقف حركة حماس ومقدراً للتصريح الذي أصدرته حول الأحداث في سوريا [38] .

يمكن القول أن وضع اللاجئين الفلسطينيين في سوريا قد لا يتغير في حال وصلت المعارضة إلى الحكم ,خاصة أن حقوقهم مكفولة ضمن تشريعات وقوانين , أبرزها القانون 260 لعام 1956 والذي يمنح اللاجئين حقوق مماثلة لحقوق السوريين في الدراسة والعمل وغيرها , وقد صدر في الفترة الذهبية للديمقراطية السورية في عهد الرئيس شكري القوتلي وبإجماع البرلمان أي أنه ليس إنجاز للنظام الحالي وإنما ثمرة توافق الشعب السوري . بل في حال ترسيخ

الديمقراطية في سوريا سوف تلقي ظلالها على الوجود الفلسطيني , بحيث يصبح اختيار الهيئات التي تمثل اللاجئين من نقابات واتحادات يتم بصيغة ديمقراطية تعبر عن اللاجئين وليس بصيغة الكوتا التي تضمن سيطرة فصائل مقربة من النظام كما هو الوضع الحالي .

إلا أن وضع الفصائل الفلسطينية سيكون مختلفاً بالتأكيد فتغيير النظام الحالي سيعني بالتأكيد خسارة القوى المحسوبة على النظام كمنظمة الصاعقة والجبهة الشعبية – القيادة العامة للامتيازات التي تتمتع بها حالياً . فيما سيكون وضع حركة حماس وبقية الفصائل مرهون بكيفية حدوث التغيير و القوى التي ستقوده , وستحتاج حركة حماس لوقت طويل لتستعيد وضعها في سوريا إن استطاعت استعادته .

وعلى الجانب الآخر في حال بقاء النظام في الحكم , قد لا يكون هناك تأثير على وضع اللاجئين وفق موقفهم الحالي, أما في حال انخرط اللاجئون مع مرور الزمن بالثورة فبالتأكيد سيكون لهذا أثر سلبي في كيفية تعاطي النظام معهم , خاصة أن اللاجئين في سوريا (كما في بقية ميادين اللجوء) لا توجد لهم مرجعية فلسطينية تشكل غطاء لهم , وبالتالي فأوضاعهم مرهونة بموقف الحكومات منهم . أما على الصعيد الفصائلي فستلقى الفصائل المحسوبة على النظام السوري دعماً أكبر من قبله , أما حركة حماس التي كان موقفها غير منسجم مع موقف النظام فوضعها سيكون مرهون بالمعادلة التي ستحكم ببقاء الناظم وتموضعه سياسياً . وهنا تجدر الإشارة أن خروج الحركة من دمشق فوت على النظام فرصة المفاوضة على ورقة الحركة. لكن بالتأكيد فإن منبر دمشق لن يعود كما سبق بالنسبة للحركة بقي النظام السوري أم زال .

أما بالنسبة لبقية الفصائل فلن يكون هناك تغيير كبير في حالة زوال النظام أم بقائه , كونها لا تتمتع بثقل سياسي كبير ويقتصر وجودها على وجود محلي وليس قيادة التنظيم كما هو حال حماس والجهاد.

المبحث الثالث : التفاعل الشعبي .

لم يكن اللاجئون الفلسطينيون بعيدون عن الثورة السورية منذ أيامها الأولى في انطلاقتها في درعا , وقبل الحديث عن هذا التفاعل لا بد لنا من الإشارة إلى عدة عوامل تمهد الطريق لفهم خلفية هذا التفاعل .

أولاً : لقي الفلسطينيون في سوريا احتضاناً من الشعب السوري منذ بداية وصولهم أثناء النكبة , وجاءت القوانين والتشريعات السورية لتحمي حقوقهم .

ثانياً : يتجانس اللاجئون مع النسيج المجتمعي السوري من حيث الهوية والعرق فاللاجئون هم مسلمون عرب سنة كما النسبة الغالبة للشعب السوري , بعكس اللاجئين في لبنان مثلاً والذين اعتبروا طرفاً في معادلة طائفية قائمة في لبنان مما أثر على حقوقهم وتفاعلهم مع المجتمع .

ثالثاً : ينتشر اللاجئون كما أشرت في القسم الأول على الأراضي السورية من الجنوب إلى الشمال وهذا يجعلهم معرضين للتفاعل مع الأحداث التي تجري في أي منطقة في سوريا .كما أن انتشارهم ليس محصور بالمخيمات والتجمعات التي تتمتع بنوع من الخصوصية المجتمعية نوعاً ما , وإنما يتواجدون بين أبناء الشعب السوري بكافة فئاته وطبقاته وهذا القسم من اللاجئين معرض بطبيعة الحال لتفاعل أكبر .

رابعاً : تتشابه البنية الاجتماعية للاجئين الفلسطينيين إلى حد بعيد مع البينة الاجتماعية للشعب السوري , والهرم الاجتماعي يكاد يكون واحد [39] .

خامساً : الظل الثقيل للتجارب السابقة للاجئين في لبنان و الأردن وكذلك ما حدث منذ فترة قريبة للاجئين الفلسطينيين في العراق , الذين تم تهجيرهم بعد ما تعرضوا له من اضطهاد وجاء قسم كبير منهم إلى سوريا .

سادساً : نتيجة الحقوق التي منحت للاجئين في العمل والدراسة والتسجيل في النقابات فإنهم تفاعلوا مع فئات الشعب السوري في كافة الميادين , وتشاركوا الهموم الواحدة في المطالب الفئوية .

سابعاً : نتيجة الفترة الزمنية الطويلة للجوء فإن نسبة من اللاجئين أخذت بالاندماج ولو الجزئي في المجتمع السوري من خلال علاقات العمل بداية , وحتى من خلال علاقات أمتن اجتماعياً كالمصاهرة والزواج , ويظهر هذا الأمر بشكل كبير لدى اللاجئين خارج المخيمات .

ثامناً : على الرغم من حفاظ اللاجئين على هوية اللجوء الواحدة في مختلف التجمعات والمخيمات المنتشرة في المدن السورية , إلا أن التجمع الواحد أخذت تبرز له ملامح مجتمعية خاصة مع مرور الزمن , متأثرة بالملامح المجتمعية للبيئة المحيطة ومدى تفاعله معها . ويمكن القول أن لكل مخيم طابعه الاجتماعي الخاص وتساهم عدة عوامل في رسم ملامح هذا الطابع أهمها مدى تواصله مع البيئة المحيطة سواء عمرانياً أم مجتمعياً .

لذلك فإن التفاعل مع الثورة السورية تفاوت من تجمع فلسطيني لآخر بحسب تفاعل البيئة التي يوجد فيها التجمع مع الثورة. فهناك فرق شاسع في التفاعل مع الثورة بين مخيم النيرب الموجود في مدينة حلب والتي تعتبر ذات تفاعل

ضعيف نسبياً مع الثورة والبعيد أصلاً عن مركز المدينة (يبعد حوالي 13 كم للجنوب الشرقي) وبين مخيم درعا التي كانت مهد الثورة والذي لا يبعد عن مركز المدينة 300 م . ومن خلال هذه المقاربة يتضح أن الكل الفلسطيني اللاجئ هو متأثر بالثورة وليس المحرك فيها.

الشهداء والمعتقلين من اللاجئين الفلسطينيين في الثورة السورية :

في ظل حالة التضييق الإعلامي فإن إحصاء عدد الشهداء والمعتقلين من اللاجئين أمر عسير جداً , خاصة في ظل انتشار اللاجئين حتى ضمن القرى والأرياف في سوريا . وعلى الرغم من مضي أكثر من أربعة شهراً على الثورة السورية إلا أنها لم تصدر إحصائية رسمية موثقة من قبل مؤسسة معتمدة .

لذلك سنضطر رغم المحاذير المنهجية من الاعتماد على إحصائيتين للشهداء و للمعتقلين منشورتين على صفحة " الحرية للمعتقلين الفلسطينيين في السجون السورية " [40] , في ظل غياب بدائل أكثر توثيقاً , و إن كانت الإحصائيتين لا تعطيان الصورة الكاملة حتى برأي القائمين عليها بل قد تصل الأعداء إلى ضعف الموثق على الأقل بتقدير بعض الناشطين , إلا أنهما مفيدتان كموجهات للتحليل و إعطاء ملامح عامة للحالة المدروسة , كما أنهما قد تفتحا المجال لدراسات و إحصاءات أكثر توثيقاً و أعمق تحليلاً, على أمل أن يكون هناك في المستقبل القريب توثيق شامل ودقيق للشهداء والمعتقلين الفلسطينيين في الثورة السورية.

يبلغ عدد الشهداء الموثقين حسب الإحصائية 64 شهيداً حتى تاريخ 2 أيار/مايو 2012, فيما يقدر العدد من قبل الناشطين بضعف هذا العدد تقريباً (أكثر من 130 شهيد) . أما عدد المعتقلين فتقدره الإحصائية بحوالي 121 معتقل حتى تاريخ 26 نيسان/أبريل 2012 . علماً أن عدد المعتقلين الحقيقي أضعاف هذا الرقم بتقدير الناشطين (أكثر من 700 معتقل) , خاصة إذا علمنا أن هناك معتقلين يعتقلون لفترات قليلة , كما أن هناك معتقلين يتكتم أهلهم عن الموضوع خوف الملاحقة الأمنية مستقبلاً . يمكن بالاعتماد على الإحصائيتين الحصول على البيانات التالية

المنطقة		عدد الشهداء	%	عدد المعتقلين	%
اللاذقية		4	6	58	48
حلب		/	/	/	/
حمـــــاه		7	11	6	5
حمص		23	36	26	21.5
درعـــــا		11	17	12	10
دمشقوريفها	اليرموك	9	14	14	11.5
	بقية المناطق	10	16	5	4
المجموع		64	%100	121	%100

من خلال هذا الجدول, ومع مقارنته مع جدول توزع اللاجئين على المحافظات السورية يمكن أن نلاحظ المؤشرات التالية:

- على الرغم من تواجد أكثر من 6% من اللاجئين الفلسطينيين في حلب متوزعين على مخيمي النيربوحندرات ومدينة حلب , فإنه لا يوجد شهداء أو معتقلين بسبب الأحداث من لاجئي حلب , كما أن المخيمين لم يشهدا أي مظهر من المظاهر للثورة السورية كمظاهرات أو غيرها . ويمكن تفسير هذا الأمر بسبب ضعف نشاط الثورة السورية في حلب , كما أن المخيمين بعيدين عن مركز المدينة , حيث يبعد كلا المخيمين حوالي 13كم عن مركز المدينة .
- يمثل اللاجئون الفلسطينيون في دمشق وريفها ما نسبته 80% من مجموع اللاجئين في سوريا . إلا ان نسبة الشهداء بينهم لم تتجاوز 30% فيما وصلت نسبة المعتقلين 15% فقط , وهذا وإن كان يتناسب نوعاً ما مع نشاط دمشق الأقل نسبياً من مدن أخرى في الثورة من جهة , إلى أنه ينسجم مع نقطة أخرى أن كثير من التجمعات الفلسطينية في ريف دمشق كخان الشيح وخان دنون ضعيفة التأثر بالبيئة المحيطة كونها غير متواصلة العمران مع المدينة . وهذا يفسر على الجانب الآخر سقوط 7 شهداء من اللاجئين في دوما من أصل 10 استشهدوا في ريف دمشق , علماً أن عدد

اللاجئين في دوما لا يتعدى بضعة آلاف , وقد يفسر هذا بكون اللاجئين غير متواجدين ضمن مخيم أو تجمع له استقلاله الاجتماعي بل منتشرين ضمن أبناء المدينة , مما يرفع نسبة التأثر و التفاعل مع المجتمع السوري بهمومه وتطلعاته خاصة أن دوما عرفت بنشاطها في الثورة السورية .

كما أن مخيم اليرموك والذي يضم العدد الأكبر من اللاجئين لم يشهد خروج فعاليات كبيرة مناصرة للثورة السورية , وإن خرجت مظاهرات قليلة في بعض الأحيان فإن معظمها تركز في الناطق الطرفية من المخيم حيث يكون المواطنين السوريين هم الغالبية , ويمكن تعليل هذا بوجود رغبة عامة لدى أبناء المخيم بالتزام الحياد اتجاه الثورة السورية .

وينبغي الإشارة هنا إلى اغتيال العقيد بجيش التحرير الفلسطيني عبد الناصر المقاري فيما أصيب سائقه لدى إطلاق النار عليهم في مخيم اليرموك بتاريخ 29 شباط/فبراير 2012, وأتت هذه العملية بعد وفاة العميد الركن رضا الخضرا قائد قوات حطين في جيش التحرير أيضاً متأثراً بجروح بليغة جراء إطلاق النار عليه من قبل مجهولين قبل نحو أسبوع من هذا التاريخ وقد اتهمت المعارضة السورية النظام بالوقوف وراء عمليات الاغتيال , وقد سبق هذه العملية أيضاً اغتيال الرائد الركن باسل رفيق علي من جيش التحرير الذي اختطف وعذب قبل إلقاء جثته على قارعة الطريق كما أوردت صحيفة الشرق الأوسط [41].

- يشكل اللاجئون الفلسطينيون في محافظة درعا السورية ما نسبته 5.5 % من مجموع اللاجئين إلا أن نسبة الشهداء منهم بلغت 17% , فيما بلغ عدد المعتقلين 10% . وهذا لا يعود فقط لكون درعا مهد الثورة السورية ومن المناطق الساخنة في الثورة , بل بسبب التفاعل الكبير بين اللاجئين في درعا و المجتمع السوري حيث ينتشر اللاجئون في مختلف قرى حوران , وحتى من يسكنون ضمن المخيم والذين يبلغون 13 ألف نسمة يتفاعلون ويتأثرون مع المجتمع السوري أكثر من بقية المخيمات حيث لا يبعد المخيم سوا 300م عن مركز المدينة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أول تسعة شهداء فلسطينيين سقطوا في الثورة السورية كانوا من أبناء اللاجئين في درعا , وبعضهم استشهد في الأسبوع الأول من الثورة السورية أثناء مساعدتهم الجرحى من أبناء الشعب السوري . كما أن مخيم درعا شكل مأوىً لأبناء الشعب السوري أثناء دخول الجيش إلى المدينة كونه يتمتع ببعض الخصوصية وكذا كل من مخيم حماه ومخيم حمص .

- يلاحظ النسبة الكبيرة للمعتقلين من أبناء اللاجئين في مدينة اللاذقية حيث بلغت نسبتهم 48 % (قد تكون النسبة الحقيقية أقل من هذه إذا ما نظرنا إلى ضعف التوثيق للمعتقلين و بالتحديد في كل من درعا وحماه , حيث يؤكد الناشطين أن العدد أكبر بكثير من المذكور , لكن النسبة بالتأكيد تعطي مؤشر بالاتجاه الصحيح) من مجموع المعتقلين الفلسطينيين علماً أن نسبتهم بالعموم لا تتعدى 2% من مجموع اللاجئين . والغالبية الساحقة من هؤلاء المعتقلين هم من أبناء مخيم الرمل .وعند العودة لقائمة المعتقلين نلاحظ أن القسم الأكبر تم اعتقاله إثر دخول الجيش إلى منطقة الرمل في منتصف آب/أغسطس 2011.

ويقع مخيم الرمل في منتصف منطقة الرمل الجنوبي في مدينة اللاذقية حيث يعمل أبناؤه كما معظم القاطنين في المناطق المحيطة به من المواطنين السوريين في الأعمال البحرية كالصيد و عمال عرضيين في الميناء وكذلك في قطاع السياحة , وبالتالي فقد كان التفاعل كبير جداً بين اللاجئين الفلسطينيين و المواطنين السوريين من خلال علاقات العمل وكذلك الدراسة , كما أن التداخل الاجتماعي من خلال علاقات الزواج و المصاهرة لعب دور في تبني الهموم المشتركة . ولهذا كان من الطبيعي عند دخول أبناء المناطق المحيطة بالمخيم في الثورة (والذي ترجع أصول نسبة كبيرة منهم إلى ريف ادلب وجسر الشغور) أن يسحبوا معهم شريحة من اللاجئين الفلسطينيين إلى ميدان الثورة , حتى وصل المطاف ببعض اللاجئين الفلسطينيين إلى مخيمات اللاجئين السوريين في تركيا . ويذكر في هذا الصدد أن عدد من الأسر الفلسطينية وصلت أيضاً إلى الحدود الأردنية بعد أن فروا من الأحداث الجارية في سوريا [42] .

- يقع مخيم العائدين في حماه على بعد مسافة قريبة من منتصف المدينة , إلا أنه حافظ على نوع من الاستقلال الاجتماعي . كما أن المخيم لم يشهد فعاليات كبيرة مناصرة للثورة السورية رغم الفترة التي عاشتها مدينة حماه في حزيران وتموز عام 2011 من غياب لسطلة الدولة والأمن , إلى أن هذا الوضع دفع عدد من أبناء اللاجئين للانخراط مع أبناء الشعب السوري في الثورة .

وعلى الرغم من أن الإحصائيات تشير إلى تقديم أبناء اللاجئين في حماه 11% من نسبة الشهداء و5% من نسبة المعتقلين إلا أن النسبة الحقيقية أكبر من هذا خاصة ضمن المعتقلين, ويرجع ذلك إلى ضعف التوثيق . كما أن المخيم شكل مأوىً للعائلات إثر دخول الجيش للمدينة .

- كما أن مدينة حمص قدمت العدد الأكبر من الشهداء في الثورة السورية كذلك كان لأبناء اللاجئين من سكان مدينة حمص كانوا أصحاب النصيب الأكبر في عدد الشهداء حيث سقط من أبناء اللاجئين في حمص ما نسبته 36 % من

مجموع الشهداء الفلسطينيين خلال الثورة السورية و كذلك 21.5% من المعتقلين , علماً أن اللاجئين في حمص لا يمثلون سوا 4% من الكل الفلسطيني اللاجئ . وهنا ينبغي الإشارة إلا أن التوثيق في أوساط اللاجئين و أبناء حمص عموماً هو أفضل من بقية المناطق .

وعند العودة إلى قائمة الشهداء من أبناء اللاجئين في حمص يتضح أن معظم الشهداء قد استشهد خارج المخيم , كما أن اللافت أن أربعة من الشهداء هم من أبناء المخيم ويعملون كسائقي سيارات أجرة قتلوا دون سبب واضح , إثر خروجهم للعمل حيث قتل كارم حسون في حي الزهراء بحمص في حين وجدت جثتي كل من وديع العمر ومحمود خليل بعد أيام من اختفائهم , كما أن شفيق العوض وهو رجل ستيني توفي في أحد الفروع الأمنية بعد اعتقاله أثناء عمله على سيارة الأجرة . ويذكر أن ثلاث أشقاء مع ابن أحدهم من عائلة الحسن قتلوا في مجزرة حصلت في حي كرم الزيتون في مدينة حمص في 12 آذار/مارس 2012 وصفت المجزرة من قبل بعض المراقبين بالطائفية. ويمكن أن يعطي هذا الأمر مؤشراً خطيراً عن وضع اللاجئين في حال انحدر الوضع في سوريا إلى حرب أهلية طائفية وصنف الفلسطينيون على أنهم طرف فيها.

وكما أشرنا سابقاً فلكون المخيمات تتمتع بنوع من الحماية المعنوية من قبل الأونروا , فقد تدفق عدد كبير من العائلات السورية إلى مخيم حمص خصوصاً أثناء حملة الجيش السوري على بابا عمرو , ويقدر بعض الناشطين عدد العائلات الموجودة حتى شهر أيار/مايو 2012 بمئات العائلات , مع العلم أن مخيم حمص لا تتجاوز مساحته 0.15 كم^2 , ويقطنه ما يقارب 15 ألف لاجئ. كما لعب مشفى بيسان المتواجد ضمن المخيم والذي يتبع لمنظمة الهلال الأحمر الفلسطيني دور في تقديم الاسعافات ومعالجة الجرحى دون النظر لهويتهم , وأعطى هذا الأمر صورة عن الحياد الإيجابي للفلسطينيين [43] .

وهنا لا بد من التأكيد على الوضع الاقتصادي السيء الذي يمر به اللاجئون بشكلٍ عام وخاصة في المخيمات , وذلك انعكاساً للوضع الاقتصادي السيء عموماً ولكون نسبة البطالة أصلاً مرتفعة لدى اللاجئين كما أشرنا سابقاً وهناك نسبة كبيرة منهم يعملون في مجال الخدمات الذي توقف بطبيعة الحال في سوريا.

خـــــــــــاتمة

بقراءة عامة نستطيع أن نقول أن اللاجئين الفلسطينيين اختاروا الحياد اتجاه الأزمة , ويتضح هذا في التجمعات الفلسطينية خاصة البعيدة منها عن مركز المدينة والتي تتمتع باستقلالية اجتماعية نوعاً ما , لكن هذا الشعور بالحيادية يتقلص كلما اقتربت التجمعات من مركز المدينة وكلما ازداد اندماج وتفاعل اللاجئين مع المجتمع السوري , حيث يكاد ينعدم الشعور بالحيادية عند اللاجئين الذين عاشوا منذ النكبة مع السوريين وتعايشوا معهم وارتبطوا بعلاقات اجتماعية . كما يتضح أن الكل الفلسطيني اللاجئ هو متأثر بالثورة السورية وليس عاملاً محركاً فيها .

تشكل المخيمات الفلسطينية مناطق آمنة نسبية للنازحين من المواطنين السوريين نتيجة العمليات العسكرية , مما يستوجب وجود عمل إغاثي من قبل الأونروا و المجتمع المدني يستطيع استيعاب تدفق النازحين . وكلما طال أمد الثورة السورية فإن الفرصة تكبر لانجراف الكل اللاجئ تدريجياً بما فيها المخيمات إلى خضم الصراع الحاصل خاصة في المناطق المحتدمة مثل حمص ودرعا .

الهيئات الموجودة على الساحة من الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب و الأونروا وحتى النقابات لا تعبر عن ضمير اللاجئين و بالتالي لا يمكن اعتبار مواقفها هي مواقف اللاجئين , فيما يمكن اعتبار الفصائل الفلسطينية وفق حجمها على الأرض الأقرب لتمثيل موقف اللاجئين .

الوضع المستقبلي للاجئين الفلسطينيين مرهون بالتفاعل الحاصل على الأرض ومدى قدرة اللاجئين على اتخاذ موقف الحياد الإيجابي , كما أنه مرهون أيضاً بعوامل خارجة عن تأثير اللاجئين ككيفية حدوث التغيير في حال حدوثه ومن الذي سيقود هذا التغيير .

يجب على المؤسسات الفلسطينية والمراكز البحثية والمهتمين عموماً إيلاء اهتمام أكبر بوضع اللاجئين الفلسطينيين في سوريا , والعمل على توثيق ما يتعرضون له . كما على المؤسسات الإعلامية الفلسطينية ووكالات الأنباء متابعة أوضاعهم, وهذا بالتأكيد سيشكل عامل حماية لهم .

المراجع

(1) خارطة ميادين عمل الأونروا / صادرة عن وكالة الأونروا 2011 .

(2) يبلغ العدد الكلي للاجئين الفلسطينيين في سوريا 600 ألف في أدقالتقديرات , بينما يبلغ عدد سكان سوريا حسب تقدير المجموعة الإحصائية السورية أكثر من 21.5 مليون نسمة لعام 2012.

(3) دراسة اللاجئون والنازحون الفلسطينيين في سوريا / نبيل السهلي / المركز الفلسطيني للإعلام http://www.palestine-info.info/arabic/qadhya/lajeoon.htm

(4) دراسة بعنوان السكان المقيمون غير السوريين وخصائصهم 2007 / د. سمير حسن و سميا سعد الدين

منشورة على موقع المكتب المركزي للإحصاء في سوريا ./ ص 23 .

رغم أن الدراسة منذ حوالي 5 سنوات إلى أنه يمكن الاعتماد عليها في ظل عدم وجود دراسات أحدث مع العلم ان السنوات الأخيرة لم تشهد حالات انتقال جماعي للاجئين اذا استثنينا اللاجئين القادمين من العراق والتي نسبتهم في الأصل قليلة جداً .

(5) لمزيد حول وضع فئات اللاجئين ووضعهم القانوني يمكن العودة لدراسة للأستاذ ابراهيم العلي بهذا الصدد منشورة في مجلة العودة عدد 51 .

(6) ورقة عمل بعنوان : أثر قضية اللاجئين على التركيبة السياسية للمنطقة / طارق حمود / تجمع واجب .

(7) اللاجئون الفلسطينيون في سوريا / ضياء أيوب http://www.badil.org/en/haq-alawda/item/1753-art8

(8) خبر بعنوان " وزير الشؤون الاجتماعية : نسبة البطالة في سوريا ارتفعت إلى 14.8 % " / سيريانيوز http://www.syria-news.com/readnews.php?sy_seq=145065

(9) اللاجئون الفلسطينيون في سوريا / ضياء أيوب / ذكر سابقاً .

(10) الموقع الرسمي للهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب على الانترنت http://www.gapar.net/ar/index.html

(11) المصدر السابق .

(12) موقع الاونروا الرسمي/ صفحة إقليم سوريا http://www.unrwa.org/atemplate.php?id=100

(13) لتفاصيل حول نشأة العمل الوطني الفلسطيني يمكن العودة لكتاب صفحات من تاريخ الكفاح الفلسطيني / علي بدوان

(14) مقال بعنوان حماس والفصائل الفلسطينية بسوريا واللغط المثار / علي بدوان / موقع الجزيرة نت / بتاريخ 2012/1/18.

(15) مقال عن منظمة الصاعقة / وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية –وفا http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3548

(16) نشر البيان في جريدة الفداء الرسمية السورية بتاريخ 26 آذار/مارس 2012.

(17) موقع الأونروا الرسمي / صفحة إقليم سوريا / مصدر سابق .

(18) بيان صادر عن الناطق الرسمي للأونروا كريستوفر غانيس بتاريخ 9 أيار/مايو 2011 .

(19) بيان صادر عن الأونروا حول الأوضاع في سوريا بتاريخ 9 حزيران/يونيو 2011 .

(20) تصريح صادر عن الناطق الرسمي للأونروا بتاريخ 14 آب/أغسطس 2011 .

(21) تصريح صحفي صادر عن المكتب الإعلامي لحركة المقاومة الإسلامية حماس " حول الأحداث الراهنة في سوريا الشقيقة " 2نيسان/أبريل 2011.

(22) تصريح صحفي صادر عن تحالف القوى الفلسطينية 15/آب 2011 .

(23) تصريح صحفي عن المكتب الإعلامي لحماس صادر في 24 كانون الأول /ديسمبر 2011.

(24) تقرير على موقع العربية نت (مصادر دبلوماسية : حماس تخفض وجودها في سوريا بهدوء) 5 كانون الأول 2011.

(25) مقابلة لإسماعيل هنية مع قناة الرأي الكويتية بتاريخ 9 شباط/فبراير 2012.

(26) خبر نشر على موقع النشرة الالكترونية اللبنانية بتاريخ 28 شباط/فبراير 2012 , معنون " نشار عن خروج حماس من سوريا : اتخذت الموقف الصحيح حتى ولو جاء متأخراً "

(27) خبر نشر على صحيفة عكاظ بتاريخ 10 آذار/مارس 2012 , معنون " الزهار : خروج قيادات حماس من دمشق قرار فردي " .

(28) خبر نشر على موقع مركز الزيتونة للدراسات و الاستشارات بتاريخ 2آذار/مارس 2012 , معنون " مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية : خروج حماس من سوريا عرى النظام السوري " .

(29) فيديو منشور على موقع اليوتيوب لكلمة اسماعيل هنية في الأزهر بتاريخ 24 شباط /فبراير 2012 , معنون " كلمة إسماعيل هنية بالأزهر الشريف " .

(30) خبر نشر على صحيفة العرب القطرية بتاريخ 8حزيران/يونيو 2011 , معنون " منظمة التحرير تدين جريمة مخيم اليرموك.

(31) خبر نشر على صحيفة الوطن السورية بتاريخ 8 حزيران/يونيو 2011 , معنون " القيادة العامة اتهمت مشبوهين بافتعال أحداث مخيم اليرموك "

(32) خبر منشور على وكالة معاً الإخبارية بتاريخ 15 آب/أغسطس 2011 , معنون " الاغا يستنكر قصف مخيم الرمل باللاذقية من قبل الجيش السوري " .

(33) مجلة الدراسات الفلسطينية العدد 87 صيف 2011/ ص 201 .

(34) خبر نشر على موقع قصة الإسلام بتاريخ 29 كانون الأول/ديسمبر 2011 , معنون " حماس للأسد : أنت كاذب " .

(35) مقابلة برهان غليون مع صحيفة الشروق الجزائرية , 26شباط/فبراير2012 .

(36) مقابلة برهان غليون مع " Wall Street Journal ", بتاريخ 2كانون الأول/ديسمبر 2011.

(37) مقابلة برهان غليون مع الشروق/ مصدر سابق.

(38) فيديو لعلي البيانوني على اليوتيوب, معنون " موقف المعارضة السورية من حماس " نشر بتاريخ 19-2-2012.

(39) دراسة بعنوان السكان المقيمون غير السوريين وخصائصهم /مصدر سابق ص 20.

(40) صفحة " الحرية للمعتقلين الفلسطينيين في السجون السورية " على الفيسبوك .

(41) خبر نشر في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 2آذار/مارس 2012 , بعنوان " اغتيال ثالث ضابط في جيش التحرير الفلسطيني في دمشق في غضون شهر ".

(42) تقرير على موقع الجزيرة نت نشر بتاريخ 17 أيار/مايو 2012 , معنون " الأردن يمنع لجوء فلسطيني سوريا "

(43) مصدر سابق / الشرق الاوسط / " اغتيال ثالث ضابط ...".